



أنوار السنة المحمدية

(التعليق على رياض الصالحين)

المحاضرة العاشرة

باب الصبر

من أبواب الدين العظمى
ومن أولى العلم الذي يُتَعَلَّم

الأحاديث

1. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ وَآثَرَ نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَقُلْتُ: لَا أَخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ثُمَّ قَالَ: (يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبْرٌ) فَقُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا

الفوائد

- بيان صبر النبيين عليهما الصلاة والسلام.
- لم يُقَرَّنَ نبينا صلى الله عليه وسلم بنبي كما قُرنَ بموسى عليه السلام.
- الأذى المقصود هنا أذى الأتباع لا الأعداء، ومعاناة النبي صلى الله عليه وسلم منه قليلة جدا، فقد كان مؤازرا بصحبته رضي الله عنهم.
- جُمِعَ بين النبي صلى الله عليه وسلم وموسى في سورة الأحزاب، والمناسبة ذُكر كثير من المواقف فيها مما أُوذِيَ فيه النبي.
- في حادثة المعراج، قال موسى عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أعلم بالناس منك، لقد عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق ذلك".
- فائدة للمصلحين: التجربة والخبرة مؤثرة.

● جمع الله بين ذكر القرآن والتوراة، قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49) وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (50)} (الأنبياء: 48-50).

● أنكر ناس قسمة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الأنصار وجدوا في نفوسهم وكانوا أكثر أدبًا.. ومباشرة رجع الأنصار بعد خطبة النبي صلى الله عليه وسلم.

● فائدة: أحيانًا تغيب عن الإنسان المعايير الكبرى، لكنه إذا ذكّر ذكر.

2. عن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه-، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبده الخير عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بعبده الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وقال صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ الله إذا أَحَبَّ أَبَدًا ابْتَلَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ) رواه الترمذي، وحسنه.

ما يتعلق بالحديث:

● الحديث فيه شيء من الضعف، وهذا لا يناقض تحسين الترمذي له، لأنه لا يعني المعنى الاصطلاحي المشهور.

● عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ = يَصَبُّ مِنْهُ (والعقوبة كاملة لا يطيقها الإنسان، يشهد لذلك الحديث).

● العقوبة في الدنيا مسقطة للعقوبة في الأخرى وإن لم تكن موافية لها.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: كَانَ ابْنُ لَآبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقَبِضَ الصَّبِيَّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هُوَ أَسْكَنَ مِمَّا كَانَ، فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ الْعِشَاءَ فَتَغَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: أَعَرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لهما فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعَثَتْ مَعَهُ بَتَمَرَاتٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَمَعَهُ شَيْءٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، تَمَرَاتٍ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ، فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ حَنَكُهُ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ. متفق عليه

وفي رواية: قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لهما تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ.

وفي رواية مسلم: "مات ابن لآبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُثُهُ، فَجَاءَ فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ عِشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَّعَ بِهَا. فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَغَارُوا غَارِيَّتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا غَارِيَّتَهُمْ، أَلْهَمَ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَتْ: فَاخْتَبَسْتُ ابْنَكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتَنِي حَتَّى إِذَا تَلَطَّخْتُ، ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِابْنِي؟! فَاَنْطَلِقْ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَارِكْ اللَّهُ فِي لَيْلَتِكَمَا»، قَالَ: فَحَمَلْتُ. قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ، فَاخْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخَلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ وَقَدْ اخْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى، تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجْدُ الَّذِي كُنْتُ أَجْدُ، اَنْطَلِقْ، فَاَنْطَلِقْنَا وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا، فَوَلَدْتُ غُلَامًا. فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ، لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وذكر تمام الحديث الذي فيه التحنيك.

- حال أم سليم وصبرها وثباتها، وأبو طلحة من خيار الصحابة ودافع عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحد.
- المعهود أن تفقد الأم صبرها، ولكنها أدارت الموقف لتصبير زوجها، فرضي الله عنهما.
- خرجت أم سليم مع النبي صلى الله عليه وسلم في حنين واتخذت خنجرًا، وفي غيره.

4. عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَيْدٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ وَأَحَدُهُمَا قَدْ أَحْمَرَّ وَجْهَهُ. وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ مِنْهُ مَا يَجِدُ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ

ما يتعلق بالحديث:

- هناك ارتباط للشيطان بكل شأن الإنسان، فينبغي على المسلم استحضار هذا الأمر.

5. عن معاذ بن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ؛ دَعَاهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ مَا شَاءَ) رواه أبو داود والترمذي، وحسنه.

الفوائد

- كظم الغيظ من العبادات الشريفة ومحقق للتقوى، ويؤيده قول الله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ { (آل عمران: 134) وهو من الأمور الكبيرة في الإسلام.. وقد فسّر كثير من العلماء حسن الخلق: بترك الغضب.

● الشَّانُ في حسن الخلق أن يكون في وقت الرِّضا والغضب.

● ومن الوصايا: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبْ. لا تغضب، أي اترك الأسباب المؤدية للغضب.



أنوار السنة المحمدية

(التعليق على رياض الصالحين)